الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التربية الوطنية

الشعبة : جميع الشعب — المادة العلوم الإسلامية

الملف الأول : من هدي القرآن الكريم

الوحدة الثانية : موقف القرآن الكريم من العقل

درس موقف القرآن الكريم من العقل

﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ ﴿الإسراء/ 70﴾

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ﴿النساء / 81﴾

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ﴿ البقرة / 169﴾

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ ﴿محمد، 25﴾

﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ ﴾ ﴿العنكبوت/ 43﴾

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ ﴿ البقرة/ 163﴾

﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ ﴿البقرة/ 268﴾

﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴾ ﴿يونس/ 66 ﴾

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةٗۖ لَّوۡلَا يَأۡتُونَ عَلَيۡهِم بِسُلۡطَٰنِۭ بَيِّنٖۖ فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا ﴾ ﴿الكهف/ 15﴾

شرح الكلمات:

الكلمة	شرحها
ألفينا	وجدنا
أقفالها	مغاليقها التي لا تفتح
العالمون	الذين يفهمونها ويدركونها
المسخر	المذلل

الإيضاح والتحليل:

أولا . تكريم الله للإنسان بالعقل:

لقد عني الإسلام بالعقل عناية لم يسبقه إليها دين آخر من الأديان السماوية، فقد ذكر العقل باسمه وأفعاله في القرآن الكريم زهاء خمسين(50) مرة، وذكر أولي الألباب (أي العقول) في بضع عشرة موضعا، أما كلمة أولي النهى (أي العقول)، فقد جاءت مرة واحدة في آخر سورة طه، وهذا دليل على اعتبار العقل ومنزلته في القرآن الكريم . كما نهى الشرع عن الاستدلال بالاعتماد على الظنون، لأن الظنون لا تغني من الحق شيئا، ونهى عن إتباع الهوى وتحكيمه في الاستدلال بالنصوص.

وترجع أهمية العقل في القرآن الكريم إلى الآتي :

1 - بالعقل ميز الله الإنسان، فجعل العقل منشأ الفكر الذي جعله مبدأ كمال الإنسان ونهاية شرفه وفضله على الكائنات، وما أودعه فيه من قدرة على الإدراك والتدبر وتصريف الحياة وفق ما علمه من نواميسها وأسبابها ومسبباتها، فيعلو ويحسن طواعية والتزاما بالحق، وينحط ويطغى ويفسد باجتناب الحق وإتباع الهوى ... فالعقل الإنساني أداة التلقي والنظر والفهم والإدراك والتمييز والموازنة بين الخير والنفع والضرر.

2 - كذلك فإن العقل بما يملك من طاقات إدراكية أودعها الله فيه يقوم بدور مهم في الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة، وذلك بالنظر إلى انقطاع الوحي، فالعقل له دور في استقراء الجزئيات والأدلة التفصيلية التي يجمعها مفهوم معنوي عام، باعتباره مبنى من مباني العدل. وهي الأصول الكلية، والقواعد العامة التي تستشرف مقاصد ومصالح إنسانية مادية ومعنوية يعبر عنها بالحاجات والمطالب، ومن ثم كان العقل أداة وصل الدين بقضايا الواقع .

3 - العقل مناط التكليف بخطاب الشارع طلبا أو كفا أو تخييرا أو وضعا، لأن التكليف خطاب، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال، فالمجنون والصبي الذي لا يميز يتعذر تكليفهما، كما أن المقصود من التكليف فهم أصلِ الخطاب بالعقل، فهو أيضا يتطلب فهم تفاصيله. إذن فعماد التكليف العقل، لأن التكليف خطاب من الله ولا يتلقى ذلك الخطاب إلا من يعقل.

ثانيا . منهجية التفكير كما يبرزها القرآن الكريم

لقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالتدبر في كتابه، كما أمرنا بالتدبر في كونه وخلقه، ونلاحظ في الآية :

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾ ﴿ محمد/ 25 ﴾

أنه ربط الحالة الإيمانية بالحالة الفكرية، فالذين يتفكرون في خلق السماوات والأرض هم الذين يبيتون لربهم قياما ويذكرونه ويخشونه ويخافونه، وليس المقصود في هذين السياقين مجرد التدبر الإيماني المحض، فهذا من ضرورات تصحيح العقيدة ومن مستلزمات قيامها أصلا، وإنما يراد بذلك أيضا التفكر العقلي الخالص والتأمل الذهني العميق الذي يفضي إلى المعرفة الصحيحة.

ثالثا . حث القرآن الكريم على استعمال العقل:

حَث القرآن الكريم على تحرير العقل البشري من الخرافة والجهل، والارتقاء، بوعي الإنسان وتطهيره من براثن الجاهلية، ولهذا احتل الحث على استخدام العقل، والدعوة إلى التفكير، والتدبر، والنظر، مساحة واسعة من القرآن، فوردت مشتقات العقل في تسع وأربعين آية، جاءت كلها بالصيغة الفعلية، من قبيل : يعقلون، تعقلون، تعقل، يعقلها، عقلوه. بينما لم تأت كلمة العقل بالصيغة الاسمية في الكتاب الكريم، وإن وردت مرادفاتها ومقارباتها بهذه الصيغة، مثل : الألباب، العالمون، قلوب.. مضافة. إلا أن القرآن يشتمل على كثير من الآيات التي تتضمن دعوة الناس إلى التفكر والتدبر أو التعقل أو التدليل على إثبات الحق وإبطال الباطل، ولم يأمر الله تعالى عباده في كتابه أن يؤمنوا بشيء من دون بصيرة وتدبر، حتى أنه ذكر الكثير من الأحكام في سياق التعليل، بتوجيه الإنسان نحو إعمال العقل وتوظيفه في الحقل الذي أنيط به، وهو المواظبة على التفكر، والتدبر، والتبصر، والنظر، والتذكر، والتفقه..

وبموازاة ذلك نبه القرآن إلى منزلقات العقل وآفاته، فشدد على ذم التقليد الأعمى وإتباع الآباء، والاستسلام لميراثهم، من دون تمحيص وغربلة.

وهكذا حذر من الاعتماد على الظن، وصرح بأن الظن لا يغني من الحق شيئا، وأن المعرفة لا بد أن تستند إلى اليقين. واتخذ القرآن موقفا لا لبس فيه حيال إتباع الهوى، فشدد على أن الهوى يقود إلى التيه والضلال، ويحجب الفؤاد عن معانقة الحق، ويحول بين العقل وبلوغ الحقيقة.

رابعا . وجوب المحافظة على العقل:

اعتنى القرآن الكريم بحفظ العقل، سواء من جانب الوجود ابتداء،بتحصيل منفعته، أو من ناحية درء المفاسد عنه أو المضار اللاحقة به.

فأحكام حفظ العقل من ناحية الوجود، هي الأحكام التي تقيم أركانه وتثبت قواعده، بحيث تثمر منفعته فكرا مستقيما وعلوما نافعة ومعارف صالحة تمكن الأمة من تحقيق مفهوم "الاستخلاف" في الأرض وعمارة الكون والحياة. ومن هنا شرع طلب العلم والتفكر والنظر والتدبر.

وليس هناك دليل أسطع من افتتاح الله كتابه الكريم وابتدائه الوحي بهذه الآيات التي تأمر مرتين بالقراءة على الإطلاق دون تقييد بمقروء مخصوص، وذكر مادة "العلم" على إطلاقه أيضا ثلاث مرات، في سورة العلق.

وآيات القرآن التي تحث على العلم والنظر في آيات الله في الكون، والتفكر فيها بما يعمق الإيمان بالله أكثر من أن يتسع لها السياق هنا.

أما حفظ العقل من ناحية ما يدرأ (يدفع) عنه الخلل الواقع أو المتوقع فيتمثل في موقف الإسلام من صور الغلو والانحراف الفكري. فأخطر أنواع الانحراف هو انحراف الفكر، والبعد به عن القصد إفراطا أو تفريطا ، ذلك أن السلوك نابع منه ومتأثر به ، ولهذا كانت العناية بتقويم الفكر وتصحيح الاعتقاد هي أول نقطة في أي برنامج من برامج الإصلاح التي جاء بها الأنبياء .

والانحراف الفكري ينتج عن خلل في البناء الفكري ، وهذا الخلل قد يعود إلى الأمرين الآتيين أو إلى أحدهما :

1 - الجهل بأصول التشريع : الكتاب، السنة، الإجماع، القياس، أو الإعراض عن الأخذ بهذه الأصول أو أحدها.

2 - الجهل بمناهج التعامل مع هذه الأصول : كالجهل بمآخذ الأدلة وأدوات الاستنباط أو الجهل باللغة العربية - لغة الوحي- وأساليبها، وإجمالا بمنهج تحليل نصوص الوحي واستنباط الأحكام منها.

الفوائد والإرشادات:

1 - بالعقل ميز الله الإنسان، لأنه منشأ الفكر الذي جعله مبدأ كمال الإنسان ونهاية شرفه وفضله على الكائنات .

2 - عقل الإنسان وسيلة إلى إدراك معنى الوحي، وقد وضعه القرآن موضع الإرشاد والتوجيه لعمل الإنسان وبناء الحياة ونظمها وإنجازاتها.

3 - العقل يملك طاقات إدراكية أودعها الله فيه، هي ذات دور مهم في الاجتهاد والتجديد إلى يوم القيامة .

4 - عماد التكليف العقل، لأن التكليف خطاب من الله، ولا يتلقى ذلك الخطاب إلا من يعقل.